obeikandl.com

obeikandl.com

من الإشارات الكونية فى سورة الغاشية

(١) بيان إبداع الله (سبحانه) فى خلق الإبل، وجعل خلق أجسامها ملائمة للبيئة وتحصيل الغذاء وطريقة هضمه، وملاءمة بنيانها للسير لمسافات طويلة، وخزن الغذاء والماء للاستفادة منه عند غياب مصادره الطبيعية.

(٢) بيان إبداع الخالق (سبحانه وتعالى) فى رفع السماء وبنائها بكل ما فيها ومن فيها فى دقة لا يشوبها أى خطأ.

(٣) إظهار قدرة الله (تعالى) فى تسطيح الأرض، وجعلها قرارا للحياة، وملائمة لمعيشة كل ما بها من مخلوقات، ولم تكن عند خلقها بهذا الاستواء.

obeikandl.com

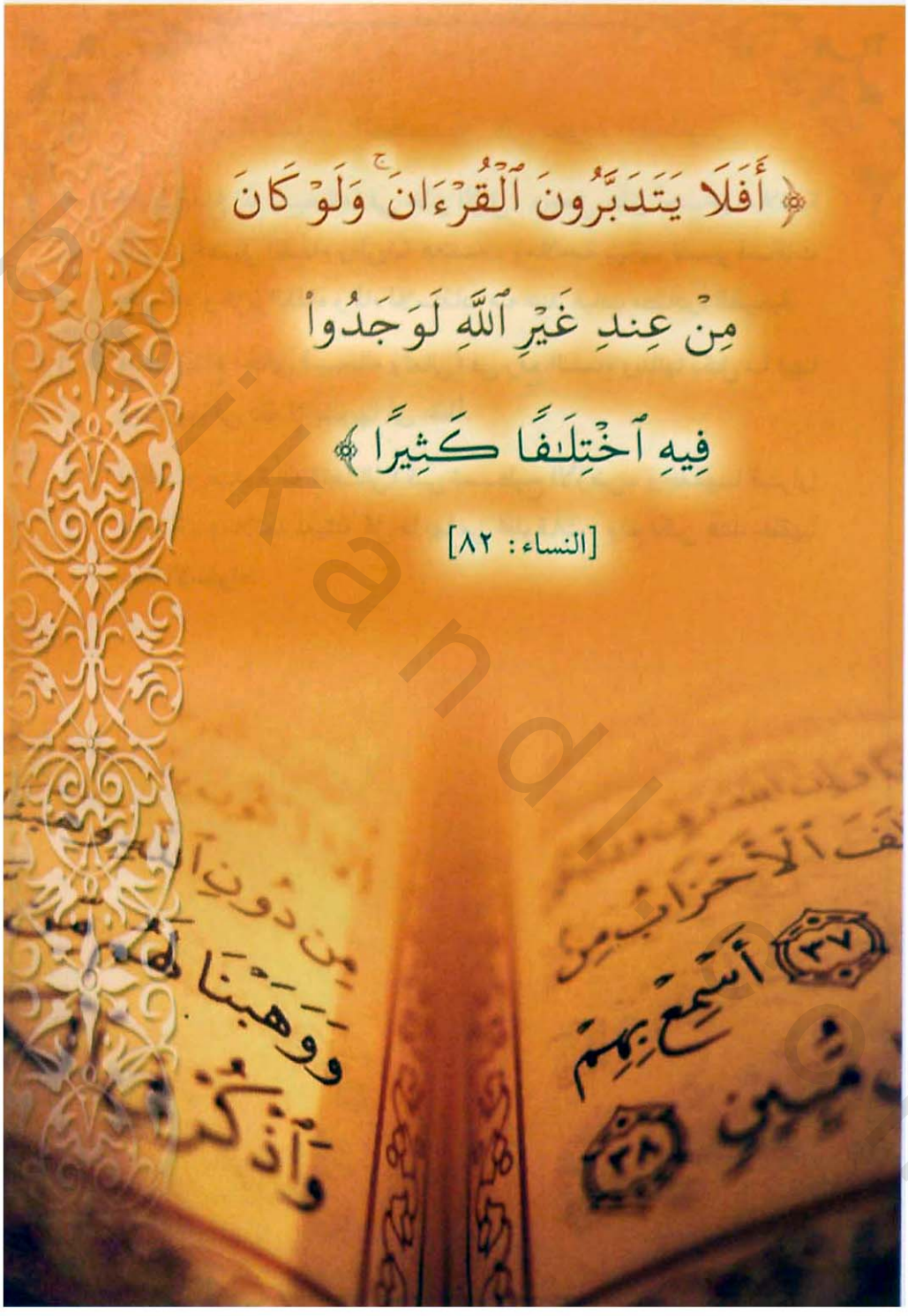
﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ
مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟
فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾
[النساء: ٨٢]

﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴾

[الغاشية: ١٧]

﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴾ [الغاشية: ١٧-٢٠].

فى هذه الآيات الأربع من الأدلة المادية الملموسة ما ينطق بطلاقة القدرة الإلهية المبدعة، ويشهد للإله الخالق (سبحانه وتعالى) بالألوهية والربوبية والوحدانية المطلقة فوق جميع خلقه، فالإبل كانت ولا تزال من الحيوانات الأساسية فى البيئة الصحراوية؛ لأن الله (تعالى) قد زودها بقدر من الصفات البدنية والتشريحية والوظائفية التى تميزها عن غيرها من «الحيوانات الثديية المشيمية ـ Placetalm Animals» بصفة عامة، وعن كل من الأبقار والغزلان والزرافات التى يضعها علماء تصنيف الحيوان مع الجمال فى مجموعة واحدة تعرف باسم مجموعة «الحيوانات الثديية المشيمية المجترة ـ Ruminant Place talm Animals» بصفة خاصة، أو ما يسمى باسم «ذوات الحافر مزدوج الأصابع ـ Even Toed Ungulates = Artiodactyla».

كذلك فإن فى رفع السماء بغير عمد مرئية (أو بعمد غير مرئية) قد شغل بال الناس منذ القدم، خاصة أهل الصحارى الذين تساءلوا دوما عن رفعها، وعن ضرورة أن يكون لها رافع مبدع له من العلم والحكمة والقدرة ما مكنه من تحقيق ذلك، وأن الذى رفعها قادر على هدمها، وعلى إعادة بنائها من جديد.

وللجبال فى شموخها، وارتفاعها، وانتصابها فوق سطح الأرض

ما يشهد لله الخالق بطلاقة القدرة ؛ لأن جذورها تطفو، فى نطاق الضعف الأرضى الموجود تحت الغلاف الصخرى للأرض مباشرة، وتحكمها فى ذلك قوانين الطفو، فكلما أخذت عوامل التعرية من قممها ارتفعت جذور الجبال إلى أعلى حتى تخرج من نطاق الضعف الأرضى بالكامل، فيتوقف الجبل عن الحركة حتى تبريه عوامل التعرية بالكامل وتسويه بسطح الأرض. وفى هذه العملية من الضوابط المحكمة ما يشهد لله الخالق (سبحانه وتعالى) بطلاقة القدرة، وبديع الصنعة، وإحكام الخلق.

ثم تأتى الإشارة إلى كيفية تسطيح الأرض «*وإلى الأرض كيف سطحت*»، والعلوم المكتسبة تؤكد أن الأرض فى مرحلة من مراحل بدء خلقها كانت معقدة التضاريس، وذات وعورة شديدة، لا تسمح للحياة بأن تزدهر على سطحها، ثم سخر الله (تعالى) مختلف عوامل التعرية من المياه الجارية، والرياح السافية، والجاذبية الأرضية الحاكمة ما ساعد على شق الفجاج والسبل، وتسوية القمم السامقة إلى السهول المنبسطة، وتشكيل التلال والهضاب، وتكوين التربة، وخزن المياه فى صخور الأرض، وتركيز الخامات، وتدفق الأنهار (وغيرها من المجارى المائية) إلى البحار والمحيطات، وتكوين الشواطئ والسفوح والمنحدرات، وكلها من وسائل تسوية سطح الأرض (أى تسطيحها)، وهى من العمليات اللازمة لجعل الأرض صالحة للعمران بكل من النبات والحيوان والإنسان، والشاهدة لله الخالق (سبحانه وتعالى) بطلاقة القدرة على إبداع الخلق، وعلى إفنائه، وإعادة خلقه من جديد (أى بعثه).

من الدلالات العلمية للآية الكريمة

تشير هذه الآية القرآنية الكريمة إلى ما فى خلق الإبل من إعجاز يشهد للخالق (سبحانه وتعالى) بالألوهية، والربوبية، والوحدانية المطلقة فوق جميع خلقه، كما يشهد له (سبحانه) بالقدرة على إفناء ما قد خلق، وعلى إعادة خلقه من جديد (أى بعثه). والإبل تنتمى إلى مجموعة من «**الحيوانات الثديية المشيمية المجترة ـ Ruminanr Placetalm Animals**»، وإلى قسم خاص منها يعرف باسم «**ذوات الحافر (الخف) مزدوج الأصابع ـ Even - Toed Ungulates = Artiodactyla**»، وهى من آكلات

العشب التى يجمعها القرآن الكريم تحت مسمى «**الأنعام**» ؛ لما فيها من نعم الله العظيمة على الإنسان، وتشمل كلا من الإبل، والبقر، والضأن، والمعز (الماعز)، وتضم بالإضافة إلى الجمال مجموعة الغزلان، وكلاهما يصنف فى عائلة واحدة تعرف باسم «**عائلة الإبليات أو الجمليات**» وبها نوعان متميزان هما: «**نوع الجمل ـ Camelus Camelides**» ونوع «**اللاما ـ Lama**»، ومن الجمال ما له سنام واحد وهو «**الجمل العربي ـ Camelusdromedarius**» وما له سنامان وهو «**الجمل الآسيوى ـ Camelusbactrianus**» وينتشر فى آسيار الوسطى وصولا إلى منشوريا فى بلاد الصين. والإبل بأنواعها تتميز عن جميع الأنعام بميزات بدنية، وتشريحية، ووظائفية عجيبة ألمح إليها القرآن الكريم بقول الحق (تبارك وتعالى): ﴿**أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ**﴾ [الغاشية: ١٧]، فالإبل عمرت الأرض قبل خلق الإنسان بحوالى الخمسين مليون سنة، وازدهرت ازدهارا هائلا فى عهد الإيوسين المعروف باسم «**فجر الحياة الحديثة**». والجمل العربى الذى يعيش فى المناطق الصحراوية الجافة القاحلة الشديدة الحرارة فى نهار الصيف، والشديدة البرودة فى ليل الشتاء قد تم استئناسه من قبل أربعة آلاف إلى خمسة آلاف سنة فى شبه الجزيرة العربية من مجموعة برية كانت تعيش فوق هضاب حضرموت. ومن الجزيرة العربية انتشرت الجمال العربية إلى كل من أفريقيا وآسيا وجنوب أوروبا عبر الوجود الإسلامى فى تلك البلاد، خاصة فى شبه الجزيرة الأيبيرية (بلاد الأندلس).

وقد ثبت للدارسين والمراقبين أن الجمل العربى هو بحق سفينة الصحراء، وأنه أصلح الوسائل الفطرية للسفر والحمل والتنقل فى الأراضى الصحراوية الجافة، فهو يستطيع قطع مسافة تصل إلى الخمسين ميلا فى اليوم، متحملا الجوع والعطش لعدة أيام متتالية فى شدة حرارة نهار صيف الصحراء، ويستطيع حمل أكثر من نصف طن من المؤن والركاب، والسير بهم وبها لأكثر من عشرين ميلا فى اليوم دون طعام أو شراب لعدة أيام متتالية ؛ وذلك لما خص الله (تعالى) به هذا الحيوان من ميزات جسدية، وتشريحية، ووظائفية لا تتوافر لغيره من الحيوانات، ومن هذه الميزات ما يمكن إيجازه فى النقاط التالية:

(١) **ضخامة الجسم، وارتفاع القوائم، وطول العنق** فى تناسق عجيب يمكّن الجمل العربى من سرعة الحركة، واتساع مجال الرؤية، ومن اختزان كميات كبيرة من الماء والغذاء والدهون والطاقة تعينه على احتمال الجوع والعطش لفترات لا يقوى عليها حيوان آخر.

(٢) **لرأس الجمل أنف ذو منخارين** أعطاهما الله (تعالى) القدرة على الانغلاق كليا تحاشيا لرمال الصحراء العاصفة، ومنعا لجفاف القصبة الهوائية، وله زوج من العيون الحادة الإبصار، ترتفعان فوق رأسه المحمول على عنقه الطويل، وجسده المرتفع عن الأرض؛ مما يوسع مجال الرؤية، ولكل واحدة من هاتين العينين المندفعتين إلى الخلف طبقة من الأهداب تقيانهما من هبوب العواصف الرملية فى الصحراء وما تحمله من أذى وقذى. ولفم الجمل شفتان عريضتان، العليا منهما مشقوقة حتى تمكنه من تناول الأعشاب الشوكية دون أن تؤذيه.

(٣) **وعلى جانبى رأس الجمل أذنان صغيرتان** يكتنف كلا منها شعر كثيف لوقايته من الرمال العاصفة، خاصة وأن الله (تعالى) قد أعطاهما القدرة على الانثناء إلى الخلف، والالتصاق بجانبى الرأس لمنع دخول الرمال فيهما.

(٤) **أقدام الجمل منبسطة على هيئة الخف** المكون من نسيج دهنى سميك، يعين الجمل على السير فوق الرمال الناعمة، وفوق غير ذلك من أنواع التربة الخشنة والصخور الناتئة.

(٥) **ذيل الجمل محاط بشعر كثيف** يحمى أجزاء جسده الخلفية من كل أذى، خاصة من الرياح العاصفة المحملة بالرمال.

(٦) **طول سيقان الجمل** تبعده عن التأثر بحرارة الأرض، وارتفاع سنامه يبعد غالبية جسده عن التأثر بحرارة الشمس؛ لأن تكتل كمية كبيرة من الدهون فى منطقة السنام يحول دون انتشار حرارة الشمس إلى داخل بقية الجسم، خاصة أن الخالق العظيم قد ألهم الجمل بالوقوف متعامدا مع أشعة الشمس قدر الاستطاعة حتى لا يتعرض لها من جسده إلا أقل مساحة ممكنة.

(٧) خلق الله (تعالى) للجمل **وسادة حرشفية / قرنية أسفل صدره** تعرف باسم الكلكل، ووسائد مشابهة فوق كل رُكْبة من رُكَبه، وهذه الوسائد تمكّن الجمل من الرقود على الأرض مهما كانت قاسية وخشنة دون أذى، كما تعينه على رفع جسده عن الأرض لعزله عن حرارتها، وللسماح لتيار من الهواء أن يتحرك بينه وبين الأرض لتهويته وتلطيف درجة حرارته.

(٨) جعل الله (سبحانه وتعالى) للجمل **جلدا غليظا جدا، قليل المرونة**، قادرا على تحمل العواصف الحارة المحملة بالرمال عند هبوبها، وعلى مقاومة لسعات الحشرات وقرصات غيرها من الحيوانات، خاصة وأن هذا الجلد قليل المرونة يغطيه وبر سميك يدفئ جسم الجمل فى الشتاء، ويحمى حراراته من التصرف (التسرب) إلى الخارج، ويحميه من حرارة الشمس الحارقة فى الصيف، خاصة وأنه يعكس أشعتها بلونه الفاتح، وجلد الجمل يمتاز بقلة انتشار الغدد العرقية فيه، مما يقلل من فقدان مخزونه المائى عن طريق العرق.

(٩) كذلك يساعد طول عنق الجمل وارتفاع أقدامه على تمكينه من تناول أوراق الأشجار العالية، وتساعد شفته العليا المشقوقة على تناول الأعشاب الشوكية دون أن تؤذيه، خاصة وأن الله (تعالى) **قد جعل للجمل ميلا فطريا للأعشاب المالحة التى تكثر فى الصحارى الجافة، وذلك مثل أنواع «الحلفاء ـ Halophytes»، وللجمل قدرة فائقة على استيعاب كميات كبيرة من أملاح هذه الأعشاب دون التأثير على درجة ارتوائه أو شعوره بالعطش، وذلك من مثل أملاح الصوديوم، والكالسيوم، والسلينيوم، والفوسفور، والنحاس، وغيرها. وكل واحد من هذه الأملاح يلعب دورا مهما فى حياة الجمل، وفى تخليق أعداد من الإنزيمات اللازمة لنشاطه الحيوى. والجمل يستهلك من كل من هذه الأملاح ما يحتاجه، ويختزن الباقى فى الكبد لاسترجاعه عند الحاجة إليه.**

ثانيا: من الصفات التشريحية للجمل

(١) الجمل من **الثدييات المشيمية المجترة**، ولكنه يختلف عن كثير منها بتضاؤل المعدة الثالثة، وبوجود ما يسمى مجازا باسم **«الأكياس المائية فى المعدة الأولى»**، وهذه

الأكياس عبارة عن انثناءات تضم الملايين من الخلايا الغددية التى تلعب دورا رئيسيا فى تفعيل عملية الهضم، وإنتاج كم كبير من السوائل.

(٢) كذلك فإن **البلعوم الطويل للجمل** يحتوى على عدد هائل من الغدد التى تعمل على ترطيب الوجبة الغذائية الجافة، مما يعين على سهولة تحركها إلى باقى أجزاء الجهاز الهضمى، خاصة وأن الجمل يعتمد فى غذائه أساسا على الأعشاب الجافة، وأوراق الأشجار الشمعية القاسية.

(٣) زود الله (سبحانه وتعالى) **الجهاز الهضمى للجمل** بالعديد من الإنزيمات المنتجة فيه، والكائنات الدقيقة المتعايشة معه لتقوم بتحليل المواد السيليلوزية القاسية فى معدة الاجترار إلى عدد من المركبات النيتروجينية مثل: الأمونيا واليوريا، ثم بناء عدد من الأحماض الأمينية، والبروتينات والدهون، وفى تجهيز عدد من الفيتامينات اللازمة لحياة الجمل، ومن العجيب أن يصل تركيز أحد الفيتامينات المهمة مثل فيتامين (د) فى جسم الجمل إلى خمسة عشر ضعفا لما هو موجود فى أجساد باقى الحيوانات المجترة، على الرغم من فقر غذاء الجمل بصفة عامة؛ وذلك لأن هذا الفيتامين يلعب دورا مهما فى تركيز الكالسيوم فى العظام، وهو أمر يحتاجه الجمل بهيكله العظمى الضخم.

ثالثا: من الصفات الوظائفية لأعضاء جسم الجمل

(١) الجمل من ذوات الدم الحار، ولكن الله (تعالى) قد وهبه القدرة على تغيير حرارة جسده ليتوافق مع درجات الحرارة المحيطة به صيفا وشتاء، ونهارا وليلا دون أن يصاب بأذى، **ويتراوح المدى الحرارى لدماء الجمل بين ٣٤°م، ٤٢°م، وهو مدى يعتبر قاتلا للعديد من الأحياء.**

(٢) يؤدى نقصان كمية الماء فى أجسام معظم الحيوانات إلى زيادة لزوجة دمائها، مما يؤدى إلى ارتفاع درجة حرارة الجسم، وينتهى بالكائن إلى الوفاة. **أما الجمل فتبقى لزوجة دمه ثابتة مهما نقص الماء فى جسمه، مما يسمح لعملية النقل الحرارى أن تتم بين القلب والأطراف.**

(٣) الارتفاع فى درجة حرارة جسم الجمل يعين على نقص استخدام الأكسجين، مما يبطئ من عملية التمثيل الغذائى فى داخل جسمه، وبالتالى يحد من ارتفاع درجة حرارته، وهذا بعكس جميع المعروف عن الحيوانات الأخرى.

(٤) يستطيع الجمل العيش دون شرب الماء لعدة أسابيع، وكمية الماء التى يتناولها ترتبط بنوعية الأكل الذى يأكله، وعلى درجة الحرارة الخارجية حوله، وقدر الماء الذى سبق له تناوله. وفى الجو البارد يستطيع الجمل العيش على كمية الماء الموجودة فيما يتناوله من طعام إذا كان غضا طريا، وفى هذه الحالة يمكنه الاستغناء عن شرب الماء لمدة تصل إلى الشهر الكامل، أما فى الأجواء الحارة ومع تناول الطعام اليابس فإن الجمل بإمكانه الاستغناء عن شرب الماء لمدة تصل إلى الأسبوع؛ ولذلك وهب الله (تعالى) الجمل القدرة على تحمل ندرة كل من الماء ومصادر الغذاء فى الصحراء، وقلة تنوع تلك المصادر، وضعف محتواها الغذائى، كما أعطاه القدرة على شرب كميات كبيرة من الماء عند توافره دون أن يؤذيه ذلك، وأعطاه القدرة كذلك على تحمل إنقاص وزنه بمعدل الثلث، وزيادته بالمعدل نفسه دون التعرض لأية مخاطر صحية، علما بأن ذلك قد يودى بحياة غيره من الحيوانات.

هذه الصفات قليل من كثير مما وهب الخالق (سبحانه وتعالى) الجمل، وهى لم تدرك إلا فى القرن العشرين، والتلميح إليها فى الآية التى نحن بصددها لمما يشهد للقرآن الكريم بأنه كلام الله الخالق، ويشهد للرسول الخاتم الذى تلقاه بالنبوة وبالرسالة (صلى الله عليه وسلم).

obeikandl.com

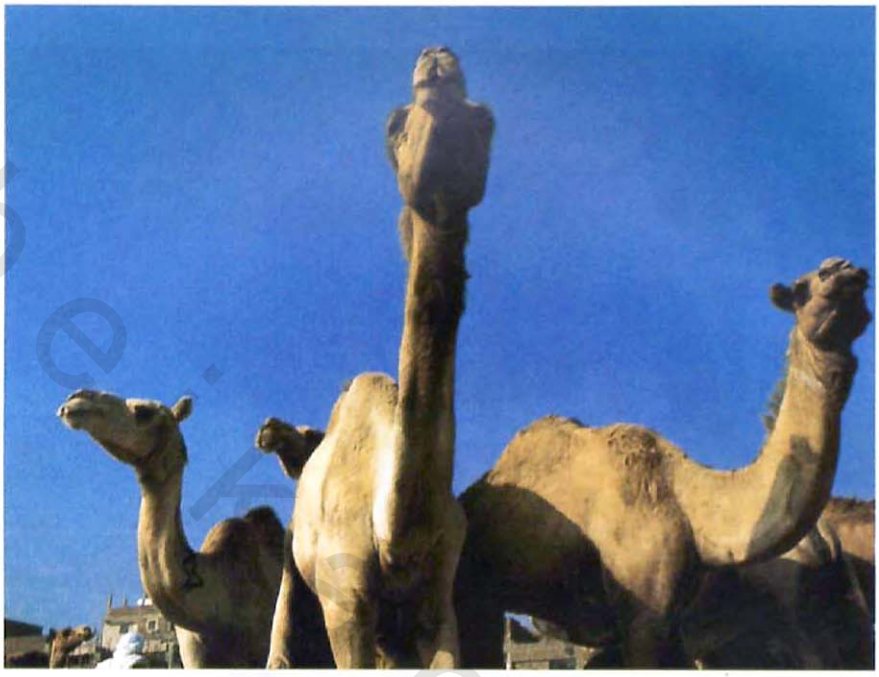

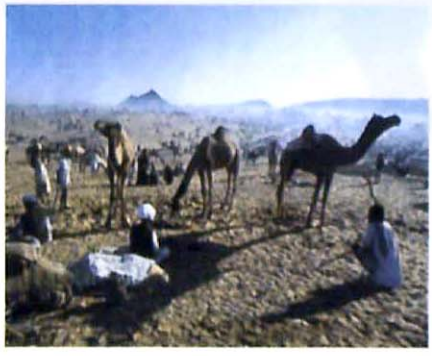

obeikandl.com